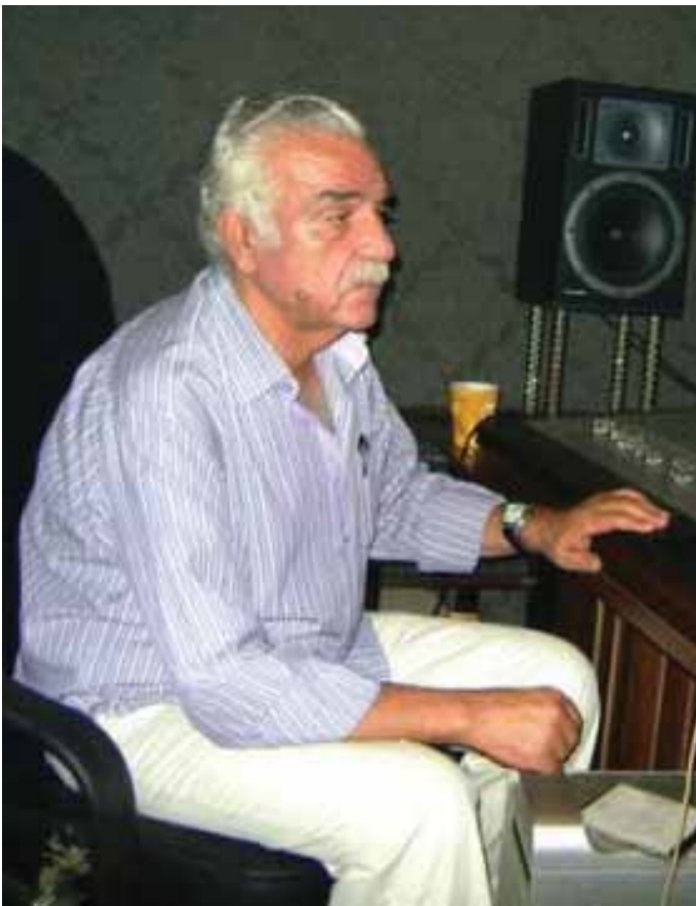


## سعدو الذيب بعد رحلة في عشق الفن والوطن في رحلته الأبدية

## عاشق الكلمة والنغم وخلود الربابة



من مملك اللحنية  
من روحك  
من شامتك التي تتربع وجحك  
صارت آلة فيها الحياة  
صارت صديقة لخمبة ودمع أصيل  
وكان فهد بلان بانتظارك  
صمت طويلاً  
سكت عن إعادة ذاته  
وفي سهل حوران كان ينتظر  
وجئت أنت  
سكبت روحه في كلماتك  
وزرعت روحك في جملة  
وعلى رجولة صوته لبعثنا في السهل  
وتسلقنا الجبل  
ومن سهل حوران  
كانت بداية جديدة  
كنتبت... لحن  
وعني فهد  
فكانت حياة خلود لفهد  
وطن بلا شعرات  
وحب في التفاصيل..  
وفي الحرب كنت  
ولسورية أغنياك  
كم جبهت الحرب بكلماتك!  
وكم وكم!  
تزينت الشاشة بفواصلك  
كلماتك لسورية لا تنسى..  
أيها الراحل الكبير  
أعدت للأغنية روحها  
فكنت سورياً وكانت أغنيتك  
أعطيتها ذوب روحك..

إسماعيل مروة  
يكفل جبل حوران بالغيم لأجلك  
لم يشأ أن تغادره دون غيم  
لم يقدر على فراقك دون دمع  
لملك تهطل دمه  
لك خير مطره المعيم  
انعقد الغيم عمامة على قمته  
ليقف معك الموقف  
ليودعك كما لم يفعل الآخرون  
ليجوط جسده المنتمي إلى المرقد  
ليغمرك بخير يسوع الذي أحببته  
عشت غريباً عمرك  
اغترب جسده عن وطنك  
عشت بعيداً عن سهل حوران  
وحين عدت انزعرت  
فكنت دمعاً ينسرب في التربة  
أصبلاً كنت  
كريباً كنت  
بل أجرو أن أقول متلاًفاً كنت  
أنفقت كل شيء على أرضك  
وفي الخاتمة أنفقت كبدك  
حولته إلى مرق من حب وولوه  
كنت سعداً وسعدو  
كنت ذنباً ضارياً على حدود حب  
كنت سعداً وأباً لحنام  
لم يكن حاتماً عبثاً  
فالطائي منارة  
وحاتم مثال  
فكان حاتماً وكتت أباه في الكرم  
وكانت سفاته!

## أكثر من مئتين وخمسين أغنية

## الذيب ترك مكتبة موسيقية غنية بالتراث الشعبي الجميل يجب المحافظة عليها



من مراسم تشييع الفنان الراحل



فهد بلان مع سعدو الذيب

## النتلة الحقيقية في الشعر الغنائي عام ١٩٨٦ مع فهد بلان بأغنية «عالبال بعدك يا سهل حوران»

مشثلة بالذهب.. وبالطبع القائمة تطول.

## سيرة جديدة بالذکر

– في مجال الأغنية الشعبية كتب ولحن أكثر من ثلاثمئة عمل موسيقي قدمها بأصوات: فهد بلان، فؤاد غازي، رفيق سبيعي، إلياس كرم، محسن غازي، عمر العبد اللات، سمارة الأحمدي، وبهمن القصير، ناديا المنفوخ، كنانة القصير، أحمد الأحمدي، وغيرهم.  
– في الطفولة ألف سبع أغان.  
– في مجال كتابة الدراما قدم تسعة أعمال منها: المسلسل الجبدي «الدخيلة»، ودراسات مطولة عن الموشحات وتفضيلاتها تحت عنوان «الموشحات كنوزنا»، و«دموع الأصائل» باللجة البدوية، وأيضاً مسلسل «العود»، والعمل الجبدي «شيماء»، وعمل كوميدوي بعنوان «جحا ٢٠٠٣»، و«نغم على وتر» بطولة فنان الشعب «رفيق سبيعي»، و«أحلام على الورق»، إضافة إلى «حكايات وأغان على الببال» وهو وفاقتي عن التراث الغنائي السوري.  
– قدم سبعة أفلام وثائقية وهي: خيال يرمع على الشمس، وعد، طريق إلى ميسلون، رجالات الثورة، على الرصيف الآخر، شيخ الفنانين، وفيلم عن الكاتب الراحل ممدوح عدوان.

– قدم ثلاث شارات موسيقية تصويرية لمسلسلات هي: «على موج البحر، صورة وأسطورة، مذكرة مدير مدرسة».  
– كتب في مجلة «أصداء فلكية» لمدة عام في صفحة الأدب والشعر.  
– كتب في مجال حقل الثقافة بجريدة «اليوم» لمدة ثلاث سنوات ناشراً خلالها الخواطر والشعر.

– حصل على شهادات لباحثين في التراث السوري، كي بين التراث الحقيقي للمناطق من خلال إعادة إحيائه له في تصوير الأغان والأمازيج التي كانت تندثر في عصر السرعة والاستهلاك.  
– شارك في أماس شعرية في عدد من دور الثقافة في سورية بدعوات خاصة من دور الثقافة بالمحافظات. كما شارك في مهرجان «طرطوس»، ومهرجان الجبل الأول الذي قدم فيه أمسية شعرية وأغنية المهرجان. كما شارك في مهرجان فافاف في تونس عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٦، وكرم هناك.  
– شارك كعضو لجنة تحكيم في مهرجان الأغنية السورية لأكثر من دورة.

– كرم من وزارة الثقافة لمساهماته في الحفاظ على التراث اللامادي، كذلك كرمته هيئة الإذاعة والتلفزيون، واتحاد الصحفيين العرب في أميركا في لوس أنجلوس عندما أقام فيها أمسية شعرية، وكرمه الرابطة اللبنانية للأدباء.  
– عضو لجنة الاستماع في الإذاعة السورية.  
– نال العديد من الجوائز منها جائزة «أورنيثا» لأربع دورات.

في حياتنا كبرش، وقيل حنا ميمية كان الراحل محمد الماغوط قال: «الحن وكلمات سعدو الذيب الأقرب إلى الروح».  
جانبه تحدث المخرج الدكتور ناصر العريبي عن القصيد وتناج الإبداعي قائلاً: «حين نتكلم عن سعدو الذيب فإننا نتكلم عن صاحب الرسالة الإبداعية والفنية الذي كان ينتمي لهذا الوطن قولا وفعلًا بشعره وقفه وأبيه وصوته، فكان في كلامه وغنائه السهل الممتنع، وفي الدراما التي كتبها كان قريباً من الناس، إن رحيله خسارة كبيرة للجمع لأنه من الأصوات التي كانت تحكي عن الهوية والافتخار وحب الوطن والناس».

في حين أشار المطرب داود رضوان إلى أن الفنان سعدو الذيب كان شعلة وقادة على الساحة الفنية، بإبداعاته المتنوعة سواء أكان شاعراً أم كاتباً أو ملحنًا متميزاً، بدليل الحالة الإبداعية التي أوجدها، مشيراً إلى أنه غنى بصوته أول عمل للراحل وهي أغنية تراثية تمت إعادة توزيعها بوعنوان «جنتنا تبرقع» حيث لاققت هذه الأغنية نجاحاً جماهيرياً، فضلاً عن تعاونها في ١٠ أغان وطنية وتراثية بعد رحيل الفنان فهد بلان.

## إثبات أهمية الأغنية الشعبية

الأغنية الشعبية برأى المختصين هي من السهل الممتنع، لأنها قريبة جداً ومعقدة في إنتاجها، فالأغنية الشعبية واحدة من الفنون العربية التي تساهم دائماً بالمعالجات الاجتماعية في نواح عدة من الحياة التي تتأ بالأيامها، ويقي لها الأثر الإيجابي في مواكبة كل الأحداث وكل الظروف السائدة وكل المعاناة اليومية، والقضايا المرعبة والمعقدة، والأغنية الشعبية هي مواكبة لتطور المجتمع لأنها تسير معه وأحياناً قد تسبقه، بساطتها تجعلها قريبة من الجميع وبكل الأطياف فهي تتردد على ألسنة الناس وتدخل الأفتدة من دون تكلف، وبالطبع جاء ملحوتها بالتزامن مع شعرها مقدمين إياها كي تصبح موروثاً شعبياً للمجتمع المحلي الذي يتكون إليه، وهنا ويناسبة المقال لابد من الذكر أن شاعرنا الراحل «سعدو الذيب» وهو كاتب للدراما وشاعر وملحن، فكيف استطاع أن يثبت أهمية الأغنية الشعبية، وأن يعطيها قدراً في الساحة السورية بشكل خاص وفي العربية بشكل عام، وأن يعطي من مكانتها رغم أنها ملتصقة بعادات وتقاليد أرياف يمكن فيها روح البساطة والمحبة. السرو هو الراحل يجمع موهبة مقدرة، وهنا تأتي على ذكر بعض من الأغنيات الشعبية التي تغنينا بها وستبقى موروثاً تنتقله الأجيال إن تمت العناية به من حيث الحفظ والنشر في الوسائل المرئية والمسموعة. منها: فهد بلان أغنية «يوم على يوم»، وقدم للمطرب فؤاد غازي أغنيتين: «هلي يا شام، وأنت عيني»، وفي مهرجان الأغنية السورية أعطى الفنانة كنانة القصير أغنية «أحبك»، كما أعطى الفنان الشاب سمارة سمارة أغنية «عيني أنت عيني»، وكذلك الفنان أحمد الأحمدي «يا

انطلق بكتابة الدراما عبر مسلسل بدوي، مستفيداً من نشأته في مدينة السويداء السورية لكونها محاذية للبادية، مكتسباً اللهجات وبعض المفردات والعادات والتقاليد، ومكوناً مما لديه مكتوباً معرفياً وشاعرياً ولغويًا وتراثياً في كتابة سيناريو وحوار لمسلسل «الدخيلة» الذي مثل فيه نجوم الدراما السورية، وكان حصل العمل على جائزة أفضل عمل عربي في محطة «دي»، ضمن استفتاء لجريدة الخليج. وهنا لابد من الإشارة إلى أنه من هذا العمل بدأ مشواره مع الكتابة الدرامية- التي لم تكن طموحه- من أجل تحسين وضعه المعيشي، وحول التجربة الدرامية للشاعر سعدو الذيب يقول: «أما الدراما وخلق الشخصيات الدرامية وحكمتها، أرى أن كاتب الدراما عندما يكون شاعراً، أو قاصداً، أو روائياً، تكون لديه تخيلات سرديّة قادر فيها على معالجة الشخصيات وإيجادها في الأمكنة المناسبة، ومعالجتها معالجة درامية بحبكة فنية تجعل من حركة الشخصية معنى وفعلًا، وهي تمكّن المخرج من إعطاء العمل بعده الفكري والثقافي أكثر، فأنا مازلت أبحث في روايات صخورنا البازلتية وبين شقوقها حكايا الأهل والأجداد لأكون لها موقفاً، لأنني على يقين أن تحت كل ذرة تراب على أرضنا السورية توجد حكايا للبطولة والنضال والتاريخ، لم يتم تدوينها بشكلها الأمل».

هذا وفي الفترة بين عامي ١٩٨٦ و١٩٩٧ قدم من المسلسلات الوثائقية والدرامية الكثير منها: شيماء، دموع الأصائل، نغم على وتر، جحا ٢٠٠٣. كما قدم دراسة معمقة في الموشحات وتفاضيلها منذ العصر الأندلسي حتى يومنا وهي بعنوان «الموشحات كنوزنا»، هذا إضافة إلى «مجنون الشام»، و«حكايات وأغان على الببال» حيث وفق في الأفتنين التراث الغنائي السوري.

## في شعرة الكلمة قبل

هنا في هذا المكان لابد أن نستذكر ما قبل حول أغنية «عالبال بعدك يا سهل حوران». فلقد بين الكاتب الكبير «حنا ميمية» رأيها فيها بزواية كتبها في جريدة تشرين السورية، وحملت عنوان: «من البحر إلى الجبل». قال فيها: «لقد فكتنت إلى حد الإدهاش من عبارة (شرف قبص ومطرز بنيسان)، وسبغت لمعرفة الشاعر الرفيق، العبد، الحلو الشماثل الذي قالها، فإذا هو الصديق الصدوق الذائب سكرة الذي الكف حاتم الطائي، الحافظ للمواد كحبة القمح التي منها وفيها يضرب المثل وتتجلى حكمة العطاء السرمدي. عنيت به الإنسان والأخ ورفيق الدرب الطويل بغير قياس (سعدو الذيب)، (عالبال بعدك يا سهل حوران، شرف قبص ومطرز بنيسان)، وأن يكون هناك شرف قبص فيهد من خيال وتخيل عجيبين في دنياها، وفوق هذا أن يكون هذا الشرف القبص المطرز بنيسان موجوداً في حياة أمة إلى العروبة قمتما ومقداما، فإن ذلك من الابتكارات النادرة

علينا يا جبل» ثم في محافظة دير الزور بأغنية «سلامين».. القصة لم تنته هنا، بل في عام ١٩٩٠ عاد الشاعر الذيب من الخارج، مقدا أغنية حملت البصمة الصوتية لشاعر الجبل «بلان»، وأيضاً حققت انتشاراً واسعاً وهي أغنية «يا طير»، بعدما تقاتت الأعمال منها: شبالوا، حنين، قسمة ونصيب، سفرهم طال، ترحل ولا كلمة وداع، طيور السما، دمعي اليوم، دنيا، وغيرها.

## في كلمته الشاعرة

ينتقي شاعرنا الراحل مفردات كلماته من الواقع الاجتماعي، معالجا بها القضايا الوطنية والإنسانية، محملاً إياها شحنات عاطفية كلها صدق ومشاعر بليغة، الأمر الذي مكّنه من التآلق في الأمسيات الشعرية في المراكز الثقافية، وحصدته للإعجاب الكبير- من النقاد- في طريقة اللقاء قصادته المحكية، ولكن عن تحوله من النشر الفصح إلى المحكي، أوضح في أحد حواراته قائلاً: «كانت بدايتي في الشعر الفصح، وبعد أن كتبت العديد من القصائد ونشرتها في مجلة «اليوم»، وجدت نفسي أميل نحو الشعر المحكي، ذلك لأنني لم أجد حاجزاً بيني وبين الناس الذين يحبون العامية في الشعر، وربما كان الشعر العامي الأقرب إلى، لأن الكلمة البسيطة تدخل الأفتدة دون استئذان، وأنا من خلال كتابتي للأغنية الشعبية الدارجة وجدت أن كلماتي تدخل القلوب، إذ ندر أن أجلس في مقعد أو مجلس شعبي داخل سورية وخارجها إلا ووجدت كلماتي تتردد على الشفاه، الأمر الذي دفعني إلى الميل نحو المحكي من الشعر، وفي النهاية القصيدة هي التي كتبتني لأنها تعيش في مخيلتي كثيراً حتى تخرج إلى النور».

## جزالة وبساطة اللحن

الموهبة بسيطة، ولكن عندما تكون متعددة يصبح الأمر معقداً علينا في استيعابها، فلقد كان للراحل موهبة إضافية غير الشعر، حيث استطاع تطويع الكلمة مع اللحن كي تتسجم مع الواقع التراثي للحدث الاجتماعي، موقفاً الأغنية الشعبية بين كل الناس... نعم.. لقد تميزت أحنائه بالجزالة والبساطة الفنية فهي قريبة للقلب والوجدان، وحتى عندما لحن لصوت الجبل «فهد بلان» تمكّن من تقديم صوته بأسلوب جديد مختلف عن السابق مستغلاً المساحة الصوتية للفنان الكبير مقدما له الألمان المناسبة، وهذا الأسلوب نفسه كان اتبعه في أحنائه التي قدمها للفنانين الشباب، حيث درس طبيعة أصواتهم وقدراتهم على أداء بعض اللهجات المحلية.

## في كلمته الدرامية

في عام ١٩٨٨ كان سافر الشاعر- وهنا في هذه المرحلة يمكننا أن نقول المؤلف سعدو الذيب- لمدة عامين إلى «بهب» حيث

## إسماعيل مروة

عندما تنطق الكلمة الشاعرية بشكل صحيح يخرج اللحن مع الكلمة التي تنطقها. هذه جملة قالها الموسيقار محمد عبد الوهاب، تأكيداً لرقعة الكلمة وصداقتها السهل التطويع من خلال نوتات اللحن. خلال هذا الأسبوع ودمت دمشق عزيزاً، محباً لسوريته، رفض أموال الاغتراب وعاد بعد سفر دام سبع سنوات أو أكثر- حتى إنه أطلق على نفسه عهداً بالأبي يتعد عن وطنه لأكثر من عشرة أيام- عاد من اغتراب له لا ييني قصراً أو بيتاً فخماً، بل ليترك كلمات بسيطة، هي شعبية بامتياز، ليست بغريبة أبداً لأنها في النتيجة هي موروث شعبي سوري. وبعنا الشاعر والكاتب السيناريست والمحن سعدو الذيب بعد أن قدم للمكتبة الموسيقية أكثر من مئتين وخمسين أغنية من كلماته وحنانه، وكتب العديد من المسلسلات الوثائقية والدرامية البدوية. توفي شاعر أغنية «ع الببال بعدك يا جبل حوران» عن عمر ناهز ٦٤ عاماً إثر تعرضه لوعكة صحية أدخلته المشفى حيث وافته المنية، وشيع إلى مواء الأخير في مدينة السويداء، وصلي على جثمانه الطاهر في كنيسة الأباء الكوثشين للروم الكاثوليك قبل أن يوارى الثرى في مواء الأخير في مضاف الكنيسة وسط حشد من فعاليات رسمية وأهلية وفنية ودينية. من أشهر أغانيه «يوم على يوم» التي غناها الراحل فهد بلان الذي جمعبته به شراكة دامت سنين طويلة حصدت عشرات الأغنيات الناجحة، هذا وغنى له الكثير من الفنانين السوريين والعرب منهم: فؤاد غازي، إلياس كرم، رفيق سبيعي، محسن غازي، وعمر العبد اللات. ومن أعماله الدرامية «الدخيلة» و«شيماء» و«جحا ٢٠٠٣» و«دموع الأصائل» و«الوتر الأخير»، إضافة إلى عدد من الأفلام الوثائقية والبرامج والشارات التلفزيونية والموسيقا التصويرية والأمسيات الشعرية.

## من بداية القصة

ولد شاعرنا عام ١٩٥٤ ضمن عائلة فقيرة الحال مادياً، غنية بالقيم ومبكرم الأخلاق، درس في المدارس الابتدائية بقرية «الدوير»، والإعدادية والثانوية في السويداء، ومن هنا بدأت علاقته مع الكلمة متحاوراً بين قلمه وورقته، فخلال أيام الثانوية كتب أول مقال وكان بعنوان: «على الرصيف» وتم نشره في مجلة «جيش الشعب»، بعدها دخل جامعة دمشق كلية الآداب قسم الفلسفة، وقبل التخرج وبالتحديد في عام ١٩٧٩ وبسبب العوز المادي، سافر إلى دول الخليج إلى السويداء، واشتغل في حقل الثقافة بجريدة «اليوم» لمدة ثلاث سنوات كتب خلالها الخواطر والشعر، بعدها اتجه إلى الأعمال الحرة، وبعد صراع مع الغربة متأثراً بشوق متأج الحنين للوطن، مع غياب دام لأكثر من سبع سنوات، عاد شاعرنا الراحل إلى وطنه سورية ليبدأ المشوار الحقيقي.

## الراحلان فهد بلان وسعدو الذيب

جاءت بدايات الشاعر سعدو الذيب بكتابة الأغان وتلحينها بأول تجربة بأغنية «جنتنا تبرقع»، التي غناها الفنان «داود رضوان»، ولكن النتلة الحقيقية في الشعر الغنائي كانت عام ١٩٨٦، ففي هذا العام كان اللقاء الذي خلد شعره الغنائي مع الفنان الكبير فهد بلان بأغنية «يوم على يوم»، هذه الأغنية التي شرعت لها أبواب القلوب مفتوحة، وأصبحت من التراث الغنائي السوري، وبقيت الشراكة مستمرة ثلاثة عشر عاماً، قدم خلالها شاعرنا ثلاث عشرة أغنية، بل كان مع الراحل «بلان» على موعد مع مشروع وطني يشمل المحافظات السورية، بعد أن بدأ في السويداء بأغنية «غاي